ولمَّا قَسَا قلبي وضاقتْ مذاهبي

شعر للإمام الشافعي

دخل المزني على الشافعي – رحمهما الله – في مرضه الذي توفي فيه ، فقال له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟

فقال: أصبحت من الدنيا راحلا ،وللإخوان مفارقا ،ولسوء عملي ملاقيا ،ولكأس المنية شاربا ،وعلى الله تعالى واردا ،ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة ؛ فأهنيها ، أم إلى النار ؛ فأعزيها ، رثم أنشأ يقول:

ولمَّا قَسَا قلبي وضاقتْ مذاهبي جعلتُ رجائي دون عفوِكَ سُلَّما
تعَاظَمَني ذَنْبي فلمَّا قرنْتُهُ بِعفوِكَ ربّي كان عفوُكَ أعظَمَا
فما زِلْتَ ذا عفوٍ عن الذَّنْبِ لم تَزَلْ تجُودُ وتَعْفُو مِنّةً وتكرُّما
فإنْ تنتقمْ منّي فلستُ بآيس ولو دخلت نفسي بجرم جهنما
ولوْلاكَ لمْ يغو بإبْليسَ عابدٌ فكيف ً وقد أغوى صفيك آدَمَا
وإنّي لآتي الذنْب أعْرفُ قدْره وأعلم ُأنَّ الله يعفوُ تكرما
فللّه دَرَّ العارف النَّدب إنّه تفيض لفرط الوجْد أجفَانُه دمْا
يُقِيم إذا ما اللّيل مدَّ ظلامه على نفْسِه من شدّة الخوْف مَأتَما
فَصيحاً إذا مَا كان في ذِكرِ رَبّه وفيمَا سواه في الورى كان أعْجَمَا
وَيَذْكر أيّاماً مضتْ من شَبَابِه وما كان فيها بالجَهَالةِ أجْرمَا
فصَارَ قَرِين الهمّ طَول نهاره أخا السُّهد والنّجوى إذا اللّيلُ أظْلَمَا

يَقُوُل: حَبِيبي أَنْتَ سؤْلى وبُغْيَتِى كفى بك للراجين سؤْلاً ومغْنَما
ألسْتَ الذي غَذَيَّتَني وهديَّتَنى ولازلتَ منَّانًا على ومُنْعِما
عَسَى منْ له الإحسَان يسترُ زلتي ويغفرُ أوْزَاري وما قدْ تَقَدَمَا
فَفِي يَقْظتي شوقٌ ، وفي غفوتي منىً تُلاحِقُ خطوي نَشْوَةً وترنُّما
قُلْ لِلَّذِي أَلِفَ الذُّنُوبَ وأَجْرَمَا وغَدا على زلاتهِ مُتَندِمًا
لا تَيْأسَنْ واطلب كريمًا دائِمًا يُوْلِي الجَميل تَفَضُلاً وتكرُّمًا
يا مَعْشرَ العاصينَ جُوْدٌ واسعٌ عند الإلهِ لِمنْ يتوبُ ويَنْدَمَا
يا أيُّها العبدُ المُسيْء إلى متى تُفْني زمانكَ في عسى ولَرُبَّمَا ؟
بادِرْ إلى موْلاكَ يا مَن عُمْرُه قد ضاعَ في عصيانهِ وتَصرَّمَا
واسألهُ توفيقًا وعفوًا ثمَّ قلْ : يا ربِّ بصّرْني وزلْ عَنِّيْ العَمَا
ثُمَّ الصلاة على النبي أَجَلُّ مَنْ قد خُصَّ بالتَّقْرِيْبِ مِن رب السَّما
وعلى صحابتهِ الأفاضَلِ كُلِّهِم ما سبَّحَ الدَّاعِي الإلَه وعظَّمَا